

## تحت سماء أليس... ضاعت بلاد العجائب

### أسماء مسلي

"تحت سماء أليس" هو فيلم أنتج سنة 2020، حاولت من خلاله مخرجه "كلوي مازلو" أن تضعنا بشكل أقرب للواقعية أمام قصة "أليس" التي ترحل إلى بلاد العجائب منساقا وراء فضولها، في هذا الفيلم –وبما أنه يلامس الواقعية أكثر-، كانت أليس أنسة شقراء من أرياف سويسرا، دفعها الفضول للحاق بأرنب –أو كذلك تخيلت الأمر- والوصول إلى بلاد عجائب تسمى لبنان، لبنان في خمسينيات القرن الماضي.

قصة الفيلم بسيطة جدا تتحدث سطحيا عن الظروف التي جمعت بين الباحث اللبناني "جوزيف قمر" الحالم بزيارة الفضاء والمرأة السويسرية "أليس" التي تركت وطنها وأهلها باحثة عن الحب والفن والحياة. في ريثم متسارع الأحداث تفتح لبنان ذراعيها أمام الوافدة الجديدة وبريثم أسرع يتزوج جوزيف بأليس ويرزقان بطفلة، تكبر تلك الطفلة في استقرار تام إلى غاية أن تصبح شابة تعني أمام آلة البيانو "لبنان يا وطني عم يخبوك"، "لبنان عم يخبوك" كانت نقطة تحول حاولت من خلالها المخرجة أن تتحدث بطريقة أعمق عن الظروف التي فرقت بين الباحث اللبناني والرسامة السويسرية وابنتهما "منى"، عن الحرب الأهلية التي بدأت في السبعينيات والتي اضطرت بسببها جوزيف أن يطلب من أليس الرحيل قصد حمايتها وعدم رغبته في خذلانها بعد أن اختارت وطنه بدل وطنها. حاولت كلوي" أن تعرض كم المأساة التي تحملها جملة "انتصرت الحرب" حين قالها جوزيف بعد أن تشتت أسرته.

صحيح أن قصة الفيلم بسيطة كما سبق وذكرت، خاصة وأنها تتطرق لموضوع مستهلك جدا سينمائيا، كالحروب ومخلفاتها ولكن المعالجة الإخراجية هنا صنعت الفارق، فقد ظهرت لمسة الفنانة التشكيلية واضحة على الفيلم من خلال الألوان الدافئة والتحكم الجميل في توزيعها، الإضاءة الشعرية، الإكسسوار المتنوع، عموما من خلال الديكور الذي يجمع بين البساطة والتعقيد، بساطة تلفاز صغير موضوع في الزاوية، خلفه نبتة منتعشة، يقابله أريكة صفراء، يجلس عليها زوجان جميلان ينتظران برنامجهما المفضل، هكذا استطاعت المخرجة باستخدام كاميرا ثابتة أن تضعنا أمام لوحة فنية تبدو وكأنها رسمت خصيصا لطفلة صغيرة تقلب صفحات الكتاب المصور "أليس في بلاد العجائب".

يخرج هذا الفيلم عن المألوف ويصنع خصوصيته لأنه يجمع بين الصور المتحركة والصور الملتقطة، إضافة إلى استخدامه للمؤثرات البصرية. يعود استخدام الصور المتحركة –حسب ما ظهر لي- إلى محاولة التقليل من تراجيدية بعض المواقف، أي طرحها بطريقة هزلية ولكن دفعنا في كل مرة للتساؤل عن دور كل تلك المواقف التي قد نمر بها في حياتنا. مواقف، رغم أنها تبدو هزلية جدا مع مرور السنوات إلا أنها تؤثر بطريقة أو بأخرى عن قراراتنا، مصائرنا وحتى أقدارنا، كما حدث مع أليس –مثلا-، كل ما عاشته من عنف أسري، خوف، ضغط، انضباط ديني مر سريعا في صور متحركة ولكنه مسؤول عن رحيلها وهجرتها البعيدة إلى بلد مختلف تماما عنها لغة وثقافة. أما بالنسبة للمؤثرات البصرية، فقد كان إدراجها مبررا جدا سيميولوجيا، تماما كما حدث حين قررت أليس أن تقطع أوامر علاقتها نهائيا مع سويسرا، ظهر جذر يشدها من حذائها نحو الأرض واستطاعت بعد جهد اقتلاعه.

تم الاعتماد في "تحت سماء أليس" على مشاهد أقرب منها إلى المسرح، مشاهد استعراضية لسيدة تلبس فستانا أخضر يشبه شجرة الأرز، سيدة ترمز للبنان، تظهر في مشهد أول مستقبلية "أليس" دلالة عن لبنان التي تفتح ذراعيها للمهاجرين، ثم في مشهد آخر تمسح دماء ضحايا القنابل والحرب التي اندلعت، ثم في مشهد يحاصرها شبح في الزاوية تحاول مقاومته بكوريغرافيا مصممة ورقص معاصر، ثم في مشهد أخير وهي تصارع رجالا منقسمين إلى مجموعتين يلبسون أقتعة حيوانات وظلوا طيلة القصة يصنعون حربا بينهم، كانوا هم سبب كل المأساة.

على ذكر الأقتعة يجب القول أنها كانت فكرة مثيرة للاهتمام أيضا، حيث لم يتم إظهار أي وجه من الشخصيات التي صنعت الاستقرار، ميليشيات، عساكر وسياسيين... كأن "كلوي" أرادت أن تقول أنهم أشخاص بدون هوية وبدون وجوه لأن من يملك وجها لا حاجة له في نزع وجه أخيه ولبسه عنوة.

ظهرت بالمقابل شخصيات أخرى، كان لها تأثير فرعي في إظهار كيف تحولت الأمور من السلم إلى الحرب، أسر موازية من عائلة جوزيف، أخته "ميمي" التي تنتهي حكايتها بذوبانها في جدار يحمل صورة زوجها المفقود، و"جورج" الذي اضطر أن يهاجر من بلده خوفاً من أن تكبر ابنتاه ولا يرى ذلك.

كروولوجية الفيلم كانت جميلة، يبدأ بصورة "أليس" وهي تهم بالرحيل على متن سفينة، تظهر في صورة وحيدة محاطة بأشخاص غرباء وهي تحاول أن تكتب قصة وداع لزوجها، ثم مباشرة تُعرض القصة كلها كـ"فلاش باك" والمثير للاهتمام أن عرض النهاية "الجزينة" ثم العودة مباشرة إلى البداية السعيدة جداً من شأنه أن يشد المشاهد لمعرفة التفاصيل التي أدت إلى ذلك التغيير.

موسيقى الجينيريك كانت الأكثر جاذبية بين كل ما سمعناه، إيقاع مضبوط وأغنية عن لبنان وباسميتها، نفس الأغنية التي غنتها "منى" حين بدأت بوادر الحرب الأهلية.

السماء كانت حاضرة بقوة كما يدل عليه العنوان، بنجومها الثابتة ونجومها التي تسقط، بأمانى رجل يطمح لبلوغها وأمانى "أليس" التي تكتفي بالأرض، بحب جوزيف وبكونها تحت سماء تؤمن أن "الله" يسكنها...كيف ذلك؟ لأن "أليس" دعت الله بإخلاص في ليلة ما، في مشهد جميل جداً، ذكرت فيه كل الطوائف والأديان، دعت به بأن يجعل ما تحت سمائها مستقراً، في النهاية، لم يظهر تماماً إن كان قد استجاب لدعاء الاستقرار ولكنه ترك لها أحضان جوزيف.